في ذاكرتي.. زوجة..

معصومة علي المطاوعة

# في ذاكرتي.. زوجة..

قصص من الواقع

**في ذاكرتي.. زوجة..**

**قصص من الواقع**

**معصومة المطاوعة**

**الطبعة الأولى**

**مملكة البحرين – 2006**

**جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة**

**رقم الإيداع في إدارة المكتبات العامة: د.ع. 7810 / 2006م**

**رقم الناشر الدولي: ISBN 99901-94-16-5**

**لوحة الغلاف للفنان عبد الجبار الغضبان**

**تصميم الغلاف: خالد الرويعي**

**الطباعة والتوزيع: مؤسسة الأيام للنشر**

# إهـداء

**في النصف الآخر من الذاكرة التي صادرتها كي لا تُقرأ..**
**كنت..**
**قد نسيت بأنه رجل..**

**بين أصابعٍ تتصافح مع أخرياتٍ من أجل حياةٍ أفضل..**
**كان..**
**قد نسي بأني أنثى..**

**من منّا تذكّر وجود الآخر..**
**لا أذكر..**

**لكن يكفيني سعادة بأننا بحثنا كوننا في ذاكرة الزمن..**
**ولهذا الكون..**

**أهدي هذا الكتاب..**

# مقدمة

تمرّ الإنسانية على مراحل.. وينعطف عمر الإنسان على الكثير من المدارات.. فتتوقف حياته عند الكثير من التجارب بقصد اكتساب الخبرات.. فأحيانا يجد نفسه يواجه أعاصير زمان ومكان طاغيين.. وأحيانا يجد أن تلك الأعاصير قد أعادت له كل ما حملته من تراب والتهمته من موادٍ إلى اماكنها بسلام.. وتنتهي مرحلةٌ لتبدأ مرحلة.. وتتعاقب الأيام من جديد.. ويعود الإنسان لدورة الحياة.. يراقب تعاقب المراحل.. ويتساءل عند أي منعطفٍ سيتوقف العمر هذه المرة.. لتتسطّر آلامه وهواجسه في كلمات..

من يقول بأن الورق لا يتكلم؟.. من يقول بأن اللغة تحتاج إلى لسان!.. ها هو ذا هذا الكتاب هنا يسطّر آلام الكثيرين.. ينقل تجاربهم ليُسمِع آهاتهم ويقول الكثير.. من يقول بأن حبر الكلمات يجف؟.. ها هو ذا حبر هذا الكتاب يلامس أيدي كل من تلامس أنامله ورقه.. حبرٌ ينبض بالحياة كلما شاطر الكتاب قلبٌ ليقرأه.. ليحكي له ما جرى خلف أبواب موصدة.. أبواب قصور وفلل وبيوت وشقق ومبانٍ آيلة للسقوط.. آلام ناس ينتمون لهذا الخليج الذي تناثرت حوله دول صغيرة وكبيرة تتكلم العربية.. فتعالوا نبدأ مشوارنا مع هذا الكتاب لنتعرف على قلوب وعقول الكثيرين.. من أول سطرٍ إلى آخر سطر...

**المؤلفة**

كنت أراها تضمّ صورتي القديمة إلى صدرها خلسة.. وتقبّلها مشتاقةً إلى شخصٍ ليس أنا.. فهي لا تزال تفتقد شخصاً تزوّجته قبل خمسة عشر عاماً..

في ذاكرتي.. زوجة..

لا أدري كيف حصل ذلك.. لكنها كانت سنيناً طويلة.. كنت وقتها كاتبا صحفيا في مجلة لم يشتدّ عودها بعد.. في زمنٍ كانت فيه الجرائد شبه معدومة.. وكان اعتماد القرّاء قائما على النشرات والمجلات المعدودات على الأصابع..

كنت كاتبا حرّا.. حرّا في الرأي.. وحرّا في المجال.. كنت أكتب في السياسة والثقافة والفنون والتربية.. بل كتبت حتى في الصحة والرياضة.. فزماننا لم يكن متخصّصا بما فيه الكفاية.. ولكن السياسية كعادتها كانت غالبة على كل التخصّصات..

كانت الأجواء العامة حينها متوترة لدرجة ملحوظة.. في ظلّ سيادة بعض القوانين التي قاومها الشعب ولا يزال يقاومها بشدة.. ومع أنّي لم أكن منخرطا تماما في العمل السياسي.. ألا أنني كنت ملمّاً بكلّ المستجدات على الساحة.. ومشاركا فيما لم يكن من المحذور المشاركة فيه..

ورغم ذلك لم أجرؤ يوماً.. ولم أفكر حتى.. بفعل ما قد يحرمني من حياتي وزوجتي وابنائي.. حتى لو كان ذلك الشيء حقّاً عليّ المطالبة به.. ليس لأنّي لم أكن مؤمنا بما قدّمه الآخرون لاسترجاع حقوق المواطنة المسلوبة.. بل لأني لم أشعر بأنني قادر على ذلك.. ولم أحسب ذلك يقلّل من رصيدي الوطني شيئا.. وإن كان يقلّل بعضاً من رصيدي البطولي..

ومع كل ذلك.. كنت مخلصا لوطني.. مدافعا عن كل ما فيه مصلحته.. مشاركا مع كل من شارك لتحقيق الأفضل.. لم أقل كلمة منافقة لأيٍّ كان.. ولم أخش الوقوف مع كل من أحتاج وقوفي لتحقيق مطالب الشعب..

فعلت كل ذلك.. لكن بعيدا عن كل ما قد يسبّب الاعتقال أو النفي..

كنت كاتبا حرّاً.. كاتبا صغيرا وصحفيّا مبتدئا.. ولم تكن كتاباتي تُثير الزعزعات التي كانت تُثيرها بعض الكتابات.. لأنني لم أكن أصلا سياسيّا بحتا.. ولكن كل ذلك لم يمنع وقوع ما حدث.. في زمنٍ من أزمنة القمع المتكرّرة..

كنتُ في الخامسة والثلاثين من العمر.. وكنت قد تزوّجت قبل سنتين من ذلك.. من امرأة في مثل عمري اختارتها لي والدتي..

وكنت والدا لطفلٍ له سنة من العمر.. وكانت أسرتي الصغيرة كل ما أملك في الحياة.. خاصة وأني ربيت في أسرة صغيرة مكوّنة منّي ومن والدتي فقط..

ويوما.. كتبت مقالا سياسيا عميقا.. مقالا يصوّر الوضع الذي كنّا نحياه.. ورسمت فيه بعض الخطوط الحاضرة والمستقبليّة.. وختمته بأملِ تحقيق العدالة والسلام.. فاعتُقلت في اليوم نفسه..

لم يكن المقال يحمل أيّ إساءة للحاكم أو المحكوم.. ولا للنظام أو المنظومة.. فقد كان مجرّد وصفٍ للمشاعر المتضاربة في ظلّ النظام السياسيّ السائد.. وما كانت مثل تلك المقالات بالمحظورة أو الممنوعة.. فالكل وقتها كان يكتب عن الوضع ذاته.. ولكن الخوف من أن يتطوّر قلمي إلى أمورٍ أعمق.. جعلني في السجن بتهمة القذف والإساءة..

أحيانا لا يكون القلم الجيّد.. والأسلوب المشوّق.. وعمق العبارة في صالح الكاتب.. فالكثيرون يخشون من تطوّر هذه الصفات وتجرّئها..

اعتُقِلت.. وأصبحت الاتهامات تلحق بي واحدة بعد الأخرى.. والتلفيقات تُلصق بي يوما بعد آخر.. ومن تحقيقٍ إلى ضابطٍ إلى شرطيّ.. ومن شتمٍ إلى ضربٍ إلى تعذيب.. حتى اعترفت بما لم أفعل

مع عذابات السجن.. وحصلت على حكم الخمس عشرة سنة..

بعد شهور.. أنجبت زوجتي لي ابنا آخر.. وماتت والدتي الحبيبة قهرا.. وعشت تلك السنوات بين آمال رؤية عائلتي.. والحصول على رسائلهم.. وسماع أخبارهم.. فكنت أعيش لذلك فقط..

وبذلك.. لم أر زوجتي طيلة تلك السنوات إلاّ قليلا.. وكان ذلك في السنوات الأولى.. فبعد فترة كنت أحصل فقط على بعض الرسائل بين شهورٍ وأخرى..

ومضت الخمس عشرة سنة.. أُفرِج عنّي وأنا في الخمسين من العمر.. لأعودَ لزوجةٍ في الخمسين.. وابنينِ بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة.. لم يتعرّفا على شكلي الذي اختلف كثيرا عن الصور التي كانت تريهما إيّاها زوجتي.. ولم أعرف شكلهما الذي اختلف كثيرا عمّا تحويه ذاكرتي.. ودخلت مرحلة صراعٍ اجتماعي عظيم..

تغيّرت زوجتي كثيرا.. أو بالأصح ربما كانت كذلك ولم يتسنّ لي الوقت لأعرفها.. فأنا عشت دونها أكثر ممّا عشته معها.. لكنها أيضا تغيّرت عمّا عرفتها به.. كبرت في السن.. أصبحت سمينة.. وشاب شعرها.. وتجعّدت بشرتها.. وزادت جدّيتها.. وكثر غضبها.. ولكن كيف ومتى حصل ذلك!..

كانت رشيقة القوام.. سوداء الشعر.. ناعمة البشرة.. ضحوكة..

هادئة.. هكذا هي زوجتي في ذاكرتي.. لكن الواقع يقول عكس ذلك.. في الواقع زوجتي امرأة أخرى لا أعرفها!..

وهذان الولدان.. من هما؟.. لا أعرفهما.. طباعهما غريبة.. ميولهما تافهة.. لا أكاد أحفظ شكليهما.. لا أعرف على أيّ أساسٍ أتعامل معهما.. هل فعلا أنا والدهما ويحقّ لي أن أجبرهما على شيء أو أمنعهما عن شيء!.. أن أكافئهما أو أعاقبهما؟!..

لا.. لا استطيع.. فلربما يسألاني من تكون لتفعل معنا هذا؟ وأين كنت عندما كنّا نحتاج إليك؟!.. فهما لا يعرفان بأنّي والدهما الذي عانى خمس عشرة سنة ليراهما.. والدهما الذي تعذّب في كل ليلةٍ ليسمعهما.. والدهما الذي بكى الليل والنهار رغبة ليكون بجنبهما.. والذي صلّى في كل ساعة ودقيقة وثانية ليوفّقهما الله في حياتهما بعيدا عنه.. ولكنهما لا يعرفان كل ذلك!!..

وأنا أخاف.. أخاف أن أفشل في أداء دور والدهما!.. كما فشلت في أداء دور زوج زوجتي طوال تلك السنين.. فلربما يلومني أحدهما سائلا لماذا تركتهم.. مع أنّي لم أفعل!.. فقد كنت مسجونا زورا!!.. وبقيتُ في صراع طويل مع نفسي وعائلتي..

كانت لعائلتي حياتها الخاصة والمستقلة.. فزوجتي وولديّ اعتادوا الحياة بدوني.. وهم يواصلون نفس الحياة حتى بوجودي.. فوجودي لم

يغيّر شيئا.. ولا حتى رأيي كانت له ضرورة.. فلقد اعتادوا اتّخاذ قراراتهم باتفاقهم الثلاثة.. وما عاد هناك شيء جديد ليأخذوا رأيي فيه!..

وحتى عندما يطرأ جديد.. فرأيي وفكري وثقافتي وتربيتي لا توازيهم في شيء.. فأنا مختلف تماما عما هم عليه.. تربيتي القديمة التي صارعت جدران السجن طوال حياتهما.. لا تتناسب مع تربيتهما التي تربّياها حرّين يصارعان التأقّلم مع الحياة.. ولا يمكنهما التغيير اليوم بسهولة.. فقط لأن والدهما وُلد فجأة في حياتهما!..

حتى زوجتي كانت غريبة عليّ.. وكذلك كنت أنا بالنسبة لها.. فهي لم تتصرّف معي قط كزوجة.. هي حنونة معي صحيح.. لكنها كانت كأمي أكثر من كونها زوجتي.. وكان حاجز كبير من الخجل والكلفة يكبر بيننا.. رغم كوننا في بيت واحد..

فهي لم تعد تشعر بأنّي زوجها.. فزوجها هو ذلك الشاب الذي في الصورة.. الشاب الذي انتظرته طوال تلك السنين هو من في الصورة.. أبيض الوجه.. كثيف الشعر.. منتصب القامة.. ممتلئ الجسد.. مرهف الحسّ.. جميل الحديث.. خفيف الظلّ.. لكن من أمامها اليوم شخص آخر..

أسمر الوجه.. أصلع الرأس.. منحني الظهر.. نحيل البنية..

جاف الإحساس.. قليل الحديث.. جادّ التعبير.. فأنا لست من تعرفه هي.. لست من تزوجته هي.. لست من انتظرته هي.. لست من كانت تحدّث ابناءها عنه... فلقد اختلف الشكل والقالب.. الطباع والسلوك..

حتى أني لم أعد كاتبا.. فلقد أُغلِقت المجلة التي كنت أعمل فيها من سنين طويلة.. وأصبح على الساحة بدلا منها الكثير من المجلاّت والجرائد.. وبدلي الكثير من الكتّاب والصحفيين.. وما عاد أحد بحاجة إلى قلمي.. وما عدت أنا الآخر بحاجة إلى قرّاء.. ولكن أين حاجتي؟!..

كانت حاجتي الوحيدة هي زوجتي وابنائي.. الثلاثة الذين أبحث عنهم في داخلي ولا أجدهم.. وهم أيضا كانوا يبحثون عنّي ولا يجدونني.. فقد كنت فعلا غير قادر على التصرّف كأبٍ أو زوج.. فلقد أفقدتي تلك السنوات الخمس عشرة قدرتي على ذلك..

كنت ما أن يجتمع الجميع حتى شعرت برغبة في الانعزال لوحدي في غرفتي.. وإن كنت معهم فقليلا ما كنت اتحدّث إليهم.. بل كنت أقضي معظم الوقت في متابعة الأخبار وقراءة الجرائد أو الكتب السياسية.. فلقد اعتدت على هذه الحياة أكثر.. لأني عاشرتها أكثر.. واعتدت على طبيعة الحياة في السجن.. ونسيت كيف يتعامل المرء

مع زوجته وابنائه..

ماذا يحبّون؟.. ماذا يريدون؟.. ماذا يحتاجون؟.. المشكلة كانت في أنّي كنت أرى كل شيء تافها.. وما كنت بقادر على التعاطي مع ميولهم ورغباتهم.. وهم أيضا.. ما كانوا بقادرين على التعاطي مع احتياجاتي وميولي..

زوجتي.. لم أشعر يوما أنها بحاجةً إليّ.. فلقد علّمتها قسوة الحياة في غيابي كيف تعتمد على نفسها.. حتى أصبحت رجلا بداخل امرأة.. والرجل لا يحتاج إلى رجل!..

ولكن أين الأنثى التي كانت داخلها؟.. الأنثى التي أحتاجها لأتمكّن من ممارسة دور الرجل.. هي بالتأكيد موجودة في مكان ما.. في مكان ما في الذاكرة فقط.. وهي ليست قادرة على ترسيخها على الواقع.. فقد كنت أراها أحيانا تضّم صورتي الشابة القديمة إلى صدرها خلسة.. وتقبّلها مشتاقةً إلى شخصٍ ليس أنا.. فهي لا تزال تفتقد وتشتاق لشخصٍ تزوّجته قبل خمسة عشر عاما.. وليست بقادرة على التعاطي مع شخص لا تراه هو.. فلست أنا من تنتظره ليوقظ الأنوثة التي في داخلها..

عشنا على تلك الحال لعدة شهور.. حتى قرّرنا أن تكون لكل واحدٍ منّا حياته التي اعتاد عليها.. وما عاد بقادرٍ على تبديلها..

فبذلك انسحبت من حياتهم لأُريحها وأرتاح.. ورضيت الحياة وحيدا مع زوجتي ذاكرتي.. على الحياة مع زوجة لا تزال تنتظر زوجها ذاكرتها.. والذي لن يعدو ابدا..

وبينما هو يضحك.. لفت نظره لمعان الخاتم.. فصمت فجأة..
وتغيّرت ألوانه وشحب وجهه..

## صاحبة الخاتم

كان سائق الأجرة منغمساً مع الموسيقى التي أدارها في سيارته انغماساًَ ألهاه عن حفظ ملامح المرأة الجالسة في الخلف.. فليس من عادته أن يفوّت النظر من مرآة سيارته الأمامية لأيّ امرأة يقلّها.. خاصة إذا كانت جميلة.. وطبعاً هو يفعل ذلك بنجاح من خلف نظارته الشمسية السوداء التي تخفي آثار جريمته.. فهو يفضّل سرقة الأنظار من خلف نظارته على التحدّث مع زبوناته مباشرة.. فبذلك يستطيع التمعّن بملامح وتقاطيع وجهها دون الخوف من الشتائم..

فجأة.. قطع لذّة استمتاعه بالموسيقى صوت المرأة قائلا "هنا لو سمحت!".. توقّف سائق التاكسي حيث أرادت المرأة النزول، ولم يتضايق من قطعها لذّة استمتاعه، لأن صوتها كان أجمل من الموسيقى بكثير..

أنطلق السائق بعدما نزلت المرأة وهو يفكّر بصوتها وبجمالها الذي فوّت على نفسه فرصة تأمله.. فأصبح ينظر من وراء نظارته الشمسيّة إلى المقعد الخلفي حيث كانت تجلس، ويقول في نفسه "خسارة.. كانت خوش بنت!"..

وبينما هو في تحسّراته وتأمّلاته، لفت نظره في المقعد الخلفي شيئا يلمع، فانتحى السائق جانباً من الطريق، ونزل لتفقّد ذلك الشيء،

فوجد على الكرسي خاتماً ذهبياً إحدى خرزاته مفقودة!..

يبدو أن المرأة أسقطته من حقيبتها عندما أرادت دفع الأجرة للسائق، إذ لا يبدو من شكل الخاتم أنها كانت ترتديه، بل ربما كانت تحتفظ به في حقيبتها لتأخذه للتصليح!..

كان سائق الأجرة متأكّدا من أن تلك المرأة هي من أسقطته، فهي أول سيدة تركب سيارته اليوم.. كان الخاتم يبدوا غاليا من شكله، كما أن الخرزات عليه كانت تبدو كأحجار الألماس..

حزّ في قلب السائق أمر تلك المرأة والخاتم، فقرّر إعادته إليها طالما هو يعرف أين بيتها، ليس لأنه متديّن أو أمين أو ما شابه، بل ربما ليشبع حسرته على الجمال الذي فاته تأمله!..

قرّر السائق العودة إلى منزلها بعد إنهاء بعض التوصيلات، فعاد بعد ساعتين إلى حيث أنزل تلك المرأة، كان بيتاً متواضعاً في واجهة الشارع، أوقف السائق سيارته قرب بابه ونزل يقرع جرس باب البيت..

بعد دقائق خرجت امرأة.."لو سمحتِ لقد أوصلت إحدى نساء البيت قبل ساعتين ولقد فقدت خاتمها هذا في سيارتي، فهلاّ أوصلتِ الخاتم لها؟!"..

استغربت المرأة كلام السائق، فأجابته "يبدوا أنك أخطأت في

البيت، فلا تسكن في هذا المنزل امرأة غيري!..

استغرب السائق كلام المرأة، فهو متأكد من أن المرأة قد دخلت هذا البيت، وفجأة خرج رجلٌ من البيت كان يبدوا بأنه زوجها، وسأل "ما الأمر؟ ماذا تريد يا سيد؟!".. فأجابت زوجته نيابة عن السائق "إنه سائق تاكسي، يقول بأنه أوصل امرأة إلى بيتنا أسقطت خاتماً في سيارته!".. ضحك الزوج قائلاً "لا يا رجل، يبدوا بأنك أخطأت العنوان!"..

وفجأة.. وبينما هو يضحك.. لفت نظره لمعان الخاتم.. فصمت فجأة.. وتغيّرت ألوانه وشحب وجهه.. وطلب رؤية الخاتم.. ثم أعاده للسائق قائلا "نحن آسفان لأننا لم نستطع خدمتك، أرجو أن تجد صاحبة الخاتم!"..

شعر سائق الأجرة بأن الرجل تعرّف على الخاتم، فقد كان ذلك واضحاً على ملامحه، كان واضحاً بأنه أنكر معرفته به لأن لم يرد أن تعرف زوجته!.. ضحك سائق الأجرة في قلبه، فهو قد اكتشف سرّ ذلك الرجل، فلابد من أنه يواعد بعض النساء الجميلات في غياب زوجته، وتلك المرأة كانت إحداهن.. هكذا فكّرالسائق، فقرّر تقديم مساعدة إنسانية لذلك الزوج المرّتبك.. فقال وهو يبتسم ابتسامة خبيثة، ويمدّ ببطاقة من جيبه "عموماً، طالما أنني أوصلتها قريبا من منزلكما،

لابد من أن تكون جارتكما، فلو حصل وتعرّفتما عليها صدفة، أرجوا أن تعطوها رقمي لتتصل بي وتأخذ الخاتم"..

رحل السائق وهو متأكّد من أن الزوج سيتّصل به ليأخذ منه خاتم عشيقته التي أنكر معرفته بها.. وعاد يستمتع بموسيقى سيارته سعيدا، فلقد أعجبته الصدفة التي عرف فيها الزوج الخائن والمرأة الجميلة.. ولم يمض على تحرّكه عشر دقائق.. إلاّ وحصل ما توقّعه..

اتّصل الزوج.. وادّعى بأنها أخته.. وبأنها دخلت المنزل دون علمها.. وبأنها أوصته بأخذ الخاتم من السائق وإعادته إليها!.. وطلب رؤية السائق في مكان قريب من منزله..

ضحك السائق كثيراً، وشعر بالغبطة لحماقة الموقف الذي وقع فيه ذلك الزوج الخائن، وشعر بالمتعة لمراقبة تلك المهزلة، وعاد أدراجه إلى حيث بيت الزوج ليلتقيه، ولكن بينما هو قريب من منزل الزوج، استوقفته سيارة أحدهم في الشارع..

كان رجلا يشير إليه بالوقوف.. فتوقّف السائق.. فقال الرجل "لو سمحت.. لقد أوصلت زوجتي قبل بضعِ ساعات إلى هنا.. ولقد فقدت خاتما في سيارتك!"..

استغرب السائق ذلك، وأظهر عدم ارتياحه للرجل، ولكن الرجل أخذه إلى المنزل المجاور لمنزل الزوج الخائن، ومن هناك فعلا

خرجت.. خرجت المرأة التي كانت في سيارته.. وطلبت الخاتم!!..

كانت إذن جارة الزوج الخائن!.. سألها السائق "ألم توصي أحد جيرانك باسترجاع الخاتم منّي!".. فضحكت المرأة من كلام السائق وأنكرت امكانية حصول ذلك..

اندهش السائق من غرابة الصدفة، فلقد عرف بأن عشيقة الزوج الخائن ليست إلاّ زوجة خائنة، فانتابته المتعة أكثر لأنها أصبحت مثيرة أكثر.. جار خائن.. وجارة خائنة!..

اتّصل يوم الأربعاء باكرا قبل موعد الاجتماع ليخبرهم بأن
مكان الاجتماع قد تغيّر..

## لقاء الأربعاء

اعتاد الشباب منذ سنواتٍ على الاجتماع في مجلس أحدهم مساء كل أربعاء.. فمعظمهم يعملون في وظائف حكومية.. لذا كانوا يقضون ليلة إجازتهم في مشاهدة التلفاز ولعب الورق والسمر في المجلس الذي اتّخذوه مكان اجتماعهم..

تأسّست جذور هذه "الشلّة" منذ أيام الجامعة، حيث تعرّف الشباب هناك على بعضهم أيام الدراسة، جمعتهم الدراسة بين الأربع والخمس سنوات، وبعد التخرّج حافظوا على ذلك التجمّع في ذلك المجلس على الرغم من اختلاف وظائفهم..

كان ذلك التجمّع يعني لهم الكثير، أكثر من التلفاز والورق، وأكثر من الضحك والحديث، بل كان يمثّل صلة الرحم بينهم، ومدى تمسّكهم ببعضهم، وبصداقتهم وبمشاركتهم بعضهم البعض أمور الحياة جميلها وتعيسها.. حتى دب الخلاف..

كان الأول من نوعه في حدّته وجدّيته، والأول الذي خاف

الجميع من قدرته على تفكيك شملهم الذي دام كل تلك السنوات، كان خلافا قاسيا هزّ قوّة ومعزّة ذلك المجلس عند الجميع، ومع أن صاحب المجلس قام كعادته بالكثير من المحاولات لإصلاح الوضع، ألا أن كل محاولاته باءت بالفشل، لأن "الشلّة" كانت قد تحزّبت بين مؤيدٍ ومعارض، والكل متحيّزٌ لرأيه ولنصرة موقفه، وكأن تلك السنوات قد انطوت في بحر النسيان..

وقام صاحب المجلس وهو أوسطهم سنّا وأكبرهم قلبا وأكثرهم حكمة، قام وبعض أصحابه المحايدين يُذكّرون الباقين بحرمة مجلسهم التي أُنتهكت في غفلة الاستبداد بالرأي والتعصّب للمبدأ، فذلك المجلس شهد تخرّجهم جميعهم بشهاداتهم العالية، وشهد توظيفهم جميعا في مناصبهم الإدارية، وشهد حفلات زفافهم وحفلات تتويجهم كآباء ومربين، سعد لسعادتهم، وحزن لحزنهم، فشاركهم كل آلامهم، ومعاناتهم طوال تلك السنين، خطوة بخطوة ولحظة بلحظة، ولكنهم اليوم، بعدما أصبحوا ما أرادوا، وحصلوا على ما ابتغوا نسوا كل شيء..

نسوا بأن المجلس شهد لهم بكل تلك الانتصارات والانهزامات بشرط تواجدهم فيه، بشرط اجتماعهم فيه، بشرط أن يحتموا بداخله قلبا وقالبا واحدا، بعيدا عن كل ما يشتّت شمل الناس من التعصّب والأنانية والطمع، ولكنهم نكروا معروفه، هكذا قال صاحب المجلس،

وكرّر لأكثر من مرّة، تحدّث باسم المجلس، وقال بأن المجلس ذلك هو قلبه الذي جمعهم جميعا فيه طوال تلك السنين، ولكنهم لم يحترموا حرمة ذلك القلب، وتبرؤوا من كل الحقوق التي حسبها حقوقه عليهم جميعا..

تنازل البعض منهم عن مواقفهم المتعصبة من جرّاء حديث صديقهم وحبيبهم صاحب المجلس، وشعروا بأنانيّتهم في موافقهم التي اتّخذوها، بل وذرف بعضهم الدموع متأثّرا بما قاله صاحبهم، فلقد تذكّروا كل تلك السنوات التي حرّمت عليهم أن يختلفوا فيما بينهم، ولكن صاحب المجلس لم يقبل بذلك، لم يقبل بالبعض فقط، أرادهم كلّهم، لذا أعلن كلمته الأخيرة "سأمهلكم حتى الأربعاء القادم"..

وكان ذلك الأربعاء يوافق الأربعاء الثالث منذ أن دبّ الخلاف، وتفكّكت صلابة المجلس، لذا أصرّ صاحب المجلس على تجميع شمل أصحابه وأحبابه بل عائلته الحقيقية بأسرع وقت، فقد استنكر تلك الأسابيع الثلاث بقوة قائلا "مهما قلنا ومهما اختلفنا ومهما تعصّبنا.. فوالله ليس من شيء يستحق أن يفترق من أجله شملنا"..

وكان الجميع مع غضبهم واختلافهم مقتنعين بكلام صاحبهم، مقدّرين حبه لهم، وألمه من أجلهم، ولكن أنانيّتهم وما يسمّونه بكرامتهم منعتهم من الرضوخ، وكانت الاجتماعات المتفرّقة هنا وهناك بين

المؤيّدين والمعارضين قائمة حول لقاء الأربعاء، ومن سيذهب ومن لن يذهب، بينما تَركّز الحديث في اجتماعات المحايدين حول كيف سيتصرّف صاحب المجلس، وهل سينجح في جمع شملهم مرّة أخرى أم لا، وما هي السياسة الخفيّة التي سيتّبعها ليتمكّن من جمعهم جميعا يوم الأربعاء..

لكن ما كان لهم سوى الانتظار الذي لم يطل.. فقد اتصل أحد أعضاء القاعدة المحايدة لحزبه يوم الأربعاء باكرا قبل موعد الاجتماع، ليخبرهم بأن مكان الاجتماع قد تغيّر، فلقد اتّصل ليعلم رفاقه بأن الطائرة التي كانت تُقلّ صاحبهم العائد من القاهرة قد تدهورت في البحر.. لذا فإن اجتماعهم سيكون في المقبرة بدل المجلس..

انتشر الخبر بسرعة، علم المعارضون والمؤيدون والمحايدون كلهم من أصحاب المجلس بالأمر، ووقع عليهم النبأ وقوع الصاعقة، فنسوا كل ما اختلفوا عليه، وتجمّعوا جميعا رغما عنهم لوداع صاحبهم، وتذكّروا كلامه عن أن لا شيء يستحق أن يتفرّقوا من أجله، فتجمّعوا، ولكن في مكانٍ غير المجلس الذي انتهكوا حرمته، فقرّر رفضهم قبل أن يرفضوه..

ولكنهم بعد وداع صاحبهم عادوا إليه.. عادوا احتراما له وتحقيقا لرغبته.. ولأنهم أدركوا قيمة شملهم وتجمّعهم.. ومدى حبهم وحاجتهم

لبعضهم..

"فاغفر لنا يا صديقنا زلّتنا، واحطنا ببركاتك التي ستحفظ شملنا حتى لو كنت بعيدا عنّا، فوالله ما شعرنا ببعدك عنّا يوما، فذكرك ورائحتك لا تزال تملأ المجلس الذي نعاهدك على ألا نُهين حرمته مرة أخرى"..

"تنازلتُ عن الأبوّة الحقيقية قبل سنين مضت لأحافظ عليكِ..
وأنتِ اليوم تتنازلين عنّي بعد كل تلك السنين من أجل
أمومة مزعومة"..

ليتكِ لم تموتي يا جارة!!

كنتُ أعلم بأنها ستموت مخلّفةً وراءها ابنا لم أنجبه.. عندما ارتفع الصرّاخ خارج بيتها..

كانت تلك جارتي المريضة، والتى تولّيت أنا عملية الإشراف على مرضها، فقد كان بيتي قريبا من بيتها، ونافذة غرفتي تُطلّ على نافذة غرفتها، لا يفصلهما غير شارع ضيّق من شوارع حيّنا..

سمعتُ صوت صراخ الجارة، لحظتها كدت أن أقول في داخلي "الحمد لله.. لقد ماتت"، ولكنّي استغفرت الله على ذلك التمنّي وسحبته بسرعة من قلبي، مبدّلة إياه بجملة مصطنعة تقليدية "اللهم أجعله خيرا".. لكنه كان فعلاً خيراً كما أردت.. لقد ماتت..

تزوّجت قبل عشر سنوات من اليوم، وكان حلم الأمومة هذا يطاردني نهاراً في عملي، وليلاً في حلمي، وخوفي من توجّه زوجي لأخرى كان كابوسا يُدمي حياتي يوما بعد يوم.. مع أن زوجي لم يلفت نظري يوماً لرغبته في الاقتران بأخرى، ولم أشعر أيضاً في لحظةٍ بأنه قد يفعلها ليصبح أباً، فلقد أحبّني كثيراً واحترم عدم انجابي

مُرجِعاً الأمر لحكم الله عزّ وجلّ الذي لا اعتراض على حكمه، ولكنّي مع ذلك كنت دائمة الشك والخوف، خاصة لأنه كان لا يعبّر أمامي مطلقاً عن تلك الحاجة الفطريّة عند أيّ رجل في أن يكون والداً لطفل يحمل اسمه..

ومرّت الأيام، لم يكن يواسينا في أواخرها غير ابن جارتنا التى ترمّلت للتو، حيث فقدت زوجها الشاب في حادث، ولم تنجب منه غير طفلٍ كان يملأ حياتها مع حياتنا سعادة، لكن المرض أصابها بعد وفاة زوجها.. فلم تصبر كثيراً حتى تبعته.. تاركةً لنا تلك السعادة التي حلمتُ باغتنامها وحدي.. وكان لي ذلك..

كانت أجنبيّه، وكان زوجها قد تزوّجها رغماً عن أهله وجاء للسكن في بلادنا، بمعنى آخر.. أهل المرحوم زوجها لا يشرّفهم احتضان طفلِ أجنبيّة، فهم لم يسألوا عنه حتى بعد وفاة ابنهم، أما أهل الزوجة فهم أجانب لا يعرفون حتى إن كانت قد أنجبت، فهم لا يعترفون كثيراً بالواجبات التى تفرضها صلّة الرحم عندنا.. لذا كان حلّ المعادلة سهلا.. أنا وزوجي أقرب الناس إلى ذلك الطفل.. وأولاهم به.. ولم يعترض أحد..

احتضنّا الطفل، بل تبنّيناه كما يقولون.. كان وقتها في الخامسة أو السادسة من العمر.. عاش معنا، ربّيناه، وعاملناه كما لو كان

ابننا، وأصبح يكبر أمامنا ناسياً بأننا لسنا بوالديه اللذين أنجباه..

ومضت حواليّ خمس عشرة سنة.. تغيّرت فيها الكثير من الأمور.. كان زوجي وقتها قد استقال من عمله لسوء أحواله الصحيّة ولزم البيت، أما الطفل الذي كان قد تحوّل إلى شابٍ صغير، لم يكن أيّ شاب، بل كان مثلما كان يصف الجميع.. شيطانا في جلد إنسان.. فقد كان سلوك الولد سيئاً على الإطلاق، كان قاسياً عنيداً، يغضب من كل شيء ولأيّ شيء، لا يطيعُ أحداً، يفعل كلّ ما يحلو له مهما كان وكيفما كان، فقلب حياتنا رأساً على عقب..

كان لا يحسن معاملتي أو معاملة زوجي المريض، لا يطيع أحدا، لا يحسب حساب احترام سنّ الشخص الذي يتعامل معه، كان يسرق أغراضي ويبيعها دون علمي ليحصل على النقود، رغم أننا كنّا نعطيه الكثير، أهمل دراسته ففُصل من المدرسة رغم محاولاتنا الكثيرة، فهو لم يحترم العلم أو العمل يوما، ولم يكن يحترم حتى الطعام أو المكان..

لم يكن الأمر مقتصراً علينا فقط، فلقد كان الجيران دائمي الشكوى منه، فلقد عرفنا بأنه ترك المدرسة منذ أكثر من سنة، بينما كان يخرج كل يومٍ صباحاً ليقوم بأعمال السرقة والتحايل ومضايقة النساء وما شابه، ونحن موهومون بأنه في المدرسة، حتى وصلنا قرار

فصله من التعليم تماما.. وتعدّى الأمر ذلك.. فأصبح يرافق مدمني المخدرات، وبدأ يتعاطى الكحول والمخدّر، فيدخل المنزل علينا ليحطّم أغراضه طلباً للمال أو الطعام، وأستلم أنا الشتائم عندما أحاول إيقافه، بينما يستلم زوجي الضرب عند الاعتراض..

حاولنا كثيراً، بل أمضينا سنيناً في المحاولة من أجل إصلاح الولد، لا نكاد نصدق بأنه نفسه الطفل الوديع الذي كان يلعب في أحضاننا ويملأ حياتنا سعادة، ولم نعرف كيف انقلبت السعادة إلى تعاسة وشقاء.. وبدأ زوجي حرباً معي.. فهو لم يعد يريد الولد في منزلنا، فجأة تذكّر بأنه ليس والده، وكيف يكون والداً لشابٍ مثله، شاب لا يشرّف أحدا أن يكون أباه، تذكّر بأنه ليس ملزوما بتحمّل كل ذلك العذاب..

كانت الشرطة تزورنا كثيرا، مما جعل زوجي نادماً وخجلاً من احتضانه ذلك الطفل الذي أحببته أنا كثيرا، وربّيته حتى أصبح شاباً، والذي لا زلت أحبه، فأنا اليوم أمه، وهو مهما كان لا يعرف أما غيري، فكيف أتخلى اليوم عنه!.. ولكن زوجي لم يفهم ذلك، وأصرّ على التخلّص من الولد، ومن أيّ شيءٍ يربطه به، حتى لو كان ذلك الشيء أنا.. خيّرني بين الطفل وبينه.. فلم أختر.. فأنا أريد الاثنين.. هو زوجي والطفل ابني.. مهما قال أو فعل فهو ابني.. أنا أمه التي

ربته.. وما من أمٍّ تتخلي عن ابنها.. فتخلّى زوجي عنّي..

تزوّج من أخرى وهجرني.. عاش معي سنواتٍ دون طفلٍ ولم يشتكِ.. ولم يفكر بأن يتزوّج.. وعندما عاش معي سنواتٍ مع الطفل الذي كان يحلم به.. لم يتحمل وقرّر الهجر.. فوجود الطفل كان سبباً كافياً وأقوى من عدم وجوده ليتزوّج عليّ.. وظللت وحيدة مصرّة على الحفاظ على الطفل الذي طالما تمنيته، وأذكر تصريح زوجي الأخير بمدى أنانيّتي عندما قال "لقد تنازلت عن الأبوّة الحقيقية قبل سنين مضت لأحافظ عليك.. وأنتِ اليوم تتنازلين عنّي بعد كل تلك السنين من أجل أمومة مزعومة".. حاولت إقناعه بأنها ليست أمومة مزعومة!.. فأنا أحبّه كما لو كان ابني بالفعل.. صحيح أنه لا يحمل منّي أيّ شيء لا في شكله ولا في طباعه، ولكنه في النهاية ابني.. ولكن زوجي لم يقتنع..

ومضت سنوات أخرى.. تحوّل فيها ذلك الشاب السيء إلى رجلٍ منحرفٍ لا يعرف الحب أو الرحمة.. كان أقسى الناس عليّ وأظلمهم.. فذبلت أخيرا عندي كل معاني الأمومة وأحاسيسها.. وبدأت فعلاً أشعر تجاهه بما ليس حباً.. ولكنه في نفس الوقت لم يكن كرهاً.. وقلت في نفسي.. ولكن هذه المرّة بصوت مرتفعٍ.. وبدون أيّ خجلٍ "ليتكِ لم تموتي يا جارة".. فعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم..

"بابا.. هلاّ أريتني كيف يبدو شكلك باللّحية؟!"..

متى تشرق الشمس؟..

كان الوالدان سعيدين بقدوم مولودهما الأوّل، الطفلة التي جاءت بعد صبرٍ سنين، فملأت حياتهما جمالا ومعنى، وأضفت ابتسامتها وضحكاتها على المزرعة التي يملكانها اخضراراً ونضارة..

كانت عائلةً صغيرة، الوالدان والطفلة، يحيَوْن بعيدا عن المدينة في مزرعةٍ هي إرث العائلة، فالجدّ الكبير كان قد ورثها من أجداده، واشتغل فيها كما فعل من سبقوه، ثم مات ليورّثها ابنه الوحيد الذي تزوّج وعاش فيها مع زوجته ووالدته لمدّة سنواتٍ قبل أن يُرزق بتلك الطفلة الجميلة..

فقد جاءت الطفلة في صباحِ يومٍ مشرق، فأشرقت معها حياة جديدة في انتظار ارتفاع ضحكات الطفلة في المزرعة.. ولكن الانتظار طال.. ولم يسمع أحدٌ تلك الضحكات..

بلغت الطفلة سنتها الثانية، كبرت سعيدة تضحك وتلعب وتركض، حتى أن السعادة كادت أن تُلهي والديها عن المزرعة.. إذ أصبحت الطفلة شغلهما الشاغل.. ورغباتها وطلباتها وسعادتها هي الهدف من الحياة.. إلى أن أمطرت يوما السماء مطراً غزيراً..

كان الوالد آنذاك في المدينة لعملٍ ما، وكانت الطفلة مع والدتها وجدّتها في المزرعة.. وتأخّر الوقت.. ولم يعد الوالد بسبب الأمطار

الغزيزة التي عرقلت حركة المواصلات.. وكانت الوالدة والجدّة تحتسيان حساء ساخناً في الصالة في انتظار الوالد.. بينما الطفلة نائمة في غرفة والديها..

مرّ بعض الوقت.. سمعت الوالدة والجدّة صوتاً من الغرفة.. فهرولتا بسرعة إلى مصدر الصوت.. فإذا بالطفلة تسقط من على السرير وحرارتها أكثر من عالية..

فزعت الوالدة.. كيف للحرارة أن ترتفع هكذا فجأة.. وما عساها تفعل لوحدها والوالد غير موجود.. ولم يكونوا آنذاك يمتلكون هاتفا في المنزل!..

كانت العائلة تسكن شبه منعزلة في المزرعة، لذا لم تستطع الوالدة طلب المساعدة من أحد، وظلّت في انتظار الوالد، والطفلة تغلي من الحرارة.. حتى طلعت الشمس..

وبعد ساعاتٍ من طلوعها، جاء الوالد فأخبرته الوالدة عن أمر الطفلة، فحملها فوراً إلى المستشفى.. وبعد ساعات.. عاد بها وبأمها ومعهم الدواء.. ولكن الطفلة ظلّت نائمة وكأنّها في غيبوبة.. وظلّت على تلك الحال لمدّة ثلاثة أيام.. ثم استيقظت..

لكن الوالدان لاحظا عليها أمرا غريبا لم يفهماه.. فلقد استيقظت الطفلة تبكي.. فحاولت الوالدة جاهدةً منعها من البكاء أو على الأقل

معرفة سببه.. فكان للأم ما أرادت.. إذ نطقت الطفلة أخيراً قائلة "أنيري المصباح يا أمي!"..

استغربت الوالدة من طلب الطفلة، فلماذا عساها تطلب إنارة المصباح ونور الشمس يملأ الغرفة!، ولكن الطفلة واصلت بكاءها وصراخها، وعادت تردّد "أنيري المصباح يا أمي!!..

امتلأ صدر الوالدة بالشك والريبة والخوف، فقامت بتمرير يدها على عينيّ الطفلة، فوجدت عينيها مفتوحتين جامدتين بلا حراك..

هرول الوالدان والجدّة إلى المستشفى من جديد.. وبعد كثيرٍ من التحاليل والأشعة والمبرّرات والتفسيرات العلمية المعقّدة والمراجعة الرتيبة كانت النتيجة واحدة.. فالحرارة قد أفقدت الطفلة بصرها..

وعاد الوالدان  والجدّة بالطفلة إلى المزرعة.. وهم يجرّون خلفهم أذيال الألم والحسرة.. وتوقّفت الضحكات.. وساد السكون والظلام المزرعة..

ومرّت الأيام.. والآلام تتفاقم.. والدموع تُغرق الوسائد.. فالوالد يبكي لشعوره بالذنب.. والوالدة تبكي نفسها على ابنتها التي ضاعت.. والطفلة تبكي خوفا من الحياة المظلمة.. والجدّة تبكي الجميع..

لكن الأجواء هدأت نسبياً بعد شهور.. فلابد للأيام أن تتحرّك إلى الأمام بالأمل تاركةً خلفها  الآلام واليأس.. فعاد الوالد يزاول

عمله.. والوالدة ترتّب بيتها.. والجدّة تحكي الأمثال والقصص.. أما الطفلة.. فظلّ الخوف من الظلام حبيس صدرها.. فما أن تهدأ قليلا وتتحسّس المكان الذي تجلس أو تقف فيه.. حتى تبدأ البكاء.. وتطلب إشعال النور.. وتنادي أمها وأبيها.. وتبدأ بتحسّس ملامحهما والتأكّد من صوتهما قبل أن ترتمي في حضنيهما..

ومرّت شهور طويلة حتى بدأت الطفلة تتخلّص من الخوف.. وتسير متحسّسة الحائط أو الأثاث.. وبدأ الوالدان بتعليمها كيفية الحفاظ على نفسها وسلامتها..

ولكن ظلّ الألم في الداخل يحاول عدم قبول الواقع المؤلم.. فلا يمضِ على الوالدين يومٌ واحد لا يبكيان فيه سراً أو علناً..

أما الطفلة.. فكان الحزن والخوف يتملّكانها بين فترةٍ وأخرى.. فتعود لطلبها الأول "أنيري المصباح يا أمي"..

ومن المواقف المؤثرة للطفلة.. أنها قالت لوالدها يوماً وهي تتحسّس ذقنه "بابا.. هلاّ أريتني كيف يبدو شكلك باللّحية؟!".. فانهال الوالد عليها بالقبلات والبكاء مؤكدا لها بأن ليس بإمكانه ذلك.. فلعلّها اعتقدت للحظة بأن والدها يستطيع جعلها ترى الأشياء ولكنه يعاقبها بعدم الرؤية لسببٍ ما!..

كما أنها قالت لوالدتها يوماً وهي تتحسّس وجهها "هل لا زلتِ

جميلة كالسابق يا أمي؟ أم أن شكلكِ تغيّر؟!".. فأجابتها الوالدة بأن الأشكال لا تتغيّر.. وبأنها لا زالت جميلة مثلها..

أما الجدّة فنالت أيضا نصيبها من أحاديث الطفلة المؤلمة.. حيث سألت الطفلة الجدّة يوما قبل أن تنام "لماذا لا تشرق الشمس يا جدّتي؟ وإن كانت لا تشرق فلماذا لا تُصلحون المصباح.. فأنا لا أزال أخاف من الظلام"..

# المحتويات


العجوزان .................................. 9
ليتهُ علَّمني الصيد.. .................................. 17
"مواطنة بلا وطن" .................................. 25
امرأة.. سوابق! .................................. 33
الصغيرة.. .................................. 41
ابن الخادمة .................................. 53
شذوذ .................................. 61
بركة السباحة .................................. 67
بعد صلاة الفجر! .................................. 75
فوضى مكتبيّة .................................. 83
في ذاكرتي.. زوجة.. .................................. 93
صاحبة الخاتم .................................. 105
لقاء الأربعاء .................................. 113

ليتكِ لم تموتي يا جارة!! ........................................ 121
متى تشرق الشمس؟.. ........................................ 129
خصخصة.. ........................................ 137
علاقات ........................................ 143
لماذا فات القطار؟! ........................................ 151
الصداقة ........................................ 157
سرّ الحب ........................................ 165
الاستغفال ........................................ 173
المشاعر الوحشيّة ........................................ 183
كارثة في الشارع! ........................................ 191
كل رجل حقير..! ........................................ 201
عصابات ........................................ 211

# سيرة ذاتيـة

- معصومة علي المطاوعة.
- كاتبة بحرينية في مجال الصحافة والرواية والقصة القصيرة والدراما التلفزيونية.
- مواليد المحرق / البحرين عام **1977**.
- بكالوريوس رياضيات / تربية – جامعة البحرين.
- ماجستير تربية – جامعة القديس يوسف / بيروت.
- مدرّسة في وزارة التربية والتعليم.
- كاتبة وصحفية في جريدة الأيام البحرينية.
- صدرت لها مجموعة من المؤلفات الأدبية، منها:

- رواية بعنوان "وتحطمت القيود".
- خمس مجموعات قصصية بعناوين: ويحها من غفلة، لن يعيد التاريخ نفسه، الأصابع المحترقة، الفستان المشؤوم، أنثى في رجل.

- كتبت مجموعة من الأعمال التلفزيونيّة، منها:

- مجموعة سهرات تلفزيونية تحت عنوان "صور من الحياة".
- أربع مسلسلات درامية بعناوين: بقايا رماد، الفجر المستحيل، حصاد الخريف، هواجس.

- نُشرت لها العديد من القصص والمقالات والتحقيقات الاجتماعية والسياسية والتربوية في مختلف الجرائد والمجلات.
- عضو في مجموعة من الجمعيات الأهلية.
- البريد الالكتروني **masooma@alayam.com**